

الحج.. معانيته، أحكامه والروايات المشتركة فيه

رابعاً - الشروط الشرعية: وأكبر شرط أهميَّة في عمليَّة الحجّ هو وجود قصد القرية في كلِّ عمل يقوم به الحاجّ. وماذا يعني هذا الشرط؟ إنَّ التقرب هنا بلا ريب ليس مكانياً، فإنَّ منزله عن المكان، بل هو قرب معنوي. وهذا القرب المعنوي لا يمكن أن يصدّق إن لم نتصوّر للإنسان مسيرة فطريَّة طبيعيَّة يتمُّ على أساسها تقدير مدى التكامل، وذلك بمقدار طيِّه هذه المسيرة، أو مدى التراجع على أساس خسرانه الدرجات وانحطاطه طبق قياس الفطرة. وإذا أمكن للإنسان أن يصل إلى قاب قوسين أو أدنى فإنَّ هناك انحطاط بهم نفسيّتهم فعادوا كالأنعام بل هم أضلّ. فالمسيرة فطريَّة، والهدف هو الكمال المطلق، وهذا يعني: أنَّ المسيرة لن تقف عند حدّ، ولن يصل يوم يُقال فيه: إنَّه الكمال فلا كمال بعده. وهذا ما ابتدلت به الماركسيَّة، إذ وضعت حدّاً أعلى للسمو الاجتماعيّ، ثمّ صرّحت على قوانين الديالكتيك، وهي تنطفئ في هذا الحدّ الأعلى، فلا يبقى مسوغ أو أرضيَّة أو عامل للتطور، وهكذا يقضي الديالكتيك على نفسه في هذا المنطق البشري القاصر. وعلى أيّ حال، فإنَّ مسيرة التقرب إلى الكمال مستمرة دائماً، تستوعب أن يصوغ الإنسان حياته كلياً وسيلةً للتقرب. وقد روي أنَّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) قال لأبي ذرّ: «إن استطعت أن لا تأكل ولا تشرب إلاّ فافعل» ([59]). وفي رواية أُخرى: «يا أبا ذرّ، ليكن لك في كلِّ شيء نيّة، حتّى في النوم والأكل» ([60]).